

محلياً وعالمياً

ريشا ناجار

ترجمة بتصرف

أ.د. مضر خليل عمر

تُشيع شائعاتُ بأن كوئي ساهجي ، المنزل الفخم الذي يعود للقرن الثامن عشر، والذي نشأت فيه في مدينة لكانا القديمة - والذي لجأت إليه المناضلة بيجوم حضرة محل إبان الثورة الهندية ضد البريطانيين - قد بُني من مواد بناء سُرقَت من أسلاف الدولة إمامبارا . بدأ جدي ، الذي أصبح روائياً هندياً بارزاً عند ولادتي ، باستئجار هذا الكوئي الواقع في حي تشوك التاريخي مقابل ١٠٠ روبية عام ١٩٥٨ . في هذا الكوئي ، وفي الأزقة الضيقة المزدهمة المحيطة به ، وفي الطريقة التي تفاعل بها بقية العالم مع تلك الأزقة والكوئي ، حدثت أولى وأعرق لقاءاتي مع جغرافيات الاختلاف وعدم المساواة والظلم الاجتماعي . ذكريات طفولتي مليئة بالأوقات التي قضيتها مع أبناء عمومتي ، والجيران ، وخدم المنازل ، وأطفالهم في الساحات الكبيرة والصغيرة ؛ وفي السلال الضيقة المتعرجة ؛ وفي المداخل والأنفاق الصغيرة "السرية" التي كانت تربط العديد من المنازل القديمة وأزقة "تشوك" الضيقة .

بالمناسبة ، كانت "تشوك" تُعد المقصد السياحي الحقيقي الوحيد في لكانا ، لأنها كانت المكان الذي احتضن مجد نواب الشيعة ، ليس فقط اللغة الأردية اللخناوية وثقافة التواضع والرقى وكرم الضيافة ، بل أيضاً براعة الحرفيين المحليين من السنة والهندوس ، وممارسات عائلات رجال الأعمال "الخطاري" الذين وظفهم (واستغلوهم) . داخل فضاءات الكوئي - المهيبة والخائفة والحاضنة في آن واحد - بدأت أعجب بعبقرية جدي وشعبيته بين الناس من جميع الطبقات . وفي الفضاءات نفسها ، شاهدت أُمي تُنبذ من قبل العائلة بسبب فقر والديها المدقع . تعلمت كيف تحول عمل الأطفال إلى حياة من العمل القسري من خلال قصص بابا الذي رباني أنا وأختي .

تعلمت حدودي الاجتماعية والمكانية والسلوكية بصفتي البنت الأكبر سنًا في الأسرة الممتدة . ورأيت والدي الشاب الطموح يصبح تدريجياً أسيراً لجسده وهو يُصارع ضموراً عضلياً عدوانياً . خارج الكوئي مباشرة ، التقيت بنساء ورجال من البانجي الذين سكنوا الجانب الآخر من حارتنا السكنية ، وكانوا يأتون بسلالهم كل يوم لجمع القاذورات من منازلنا والمراحيض غير المزودة بمرحاض . في الزقاق المغطى بجوار الكوئي ، كنت أعرف فتيات في مثل سني يطبخن ويأكلن وينمن مع عائلاتهن ، وفوق رؤوسهن قوس من القرن الثامن عشر فقط . هؤلاء فتيات لم يحصلن قط على فرصة للذهاب إلى المدرسة أو استخدام مرحاض "حقيقي" ، وأجسادهن المتنامية بالكاد تُلبس ملأت قلوب أمهاتهن بالخوف ، وتزوجن وأنجن أطفالاً بحلول الوقت الذي التحقت فيه بالجامعة .

عندما كنت في السابعة من عمري ، تمرت والدتي - التي أصبحت آنذاك مساعدة معلمة للغة الهندية في مدرسة ابتدائية - بشكل مذهل . في أسرة تفخر بخدمة الأدب الهندوستاني ومسرح الشعب ، وفي مجتمع تُعد فيه "المدارس الإنجليزية" نخوبة وبعيدة عن متناول اليد ، طالبت بإرسال بناتها إلى مدرسة أنغريزي ، وأعلنت أنها ستنفق دخلها للمساعدة في دفع الرسوم . أدى انتصارها إلى قبولي . في عام ١٩٧٦ (ثم مدرسة أختي في عام ١٩٧٩) إلى مدرسة لا مارتينيير ، وهي مدرسة أسسها جنرال فرنسي ، تشتهر بتعليمها عالي الجودة ، كما تشتهر بالور التاريخي الذي لعبه طلابها في القتال ضد الهنود ، والمساعدة في استعادة النفوذ

البريطاني خلال ثورة ١٨٥٧. وبالنظر إلى الماضي ، كانت الرحلة إلى لا مارتينيير - التي تبعد ميلين فقط عن كوئي ساهجي - هي الرحلة الأكثر صدمة وتمكينا ، والتي غيرت مسار حياتي المستقبلية.

من تشوك إلى لا مارتينيير

عندما وصلت إلى لا مارتينيير، ساد الصمت . كان الناس والأصوات والأحاسيس التي تنبض في عروق تشوك بعيدة كل البعد عن هذا العالم . كنت محاطاً بمعلمين وإداريين ومقيمين من أصول أنجلو-هندية ؛ وبنات البيروقراطيين والمهنيين والضباط العسكريين والمشرعين المحليين وعائلات رجال الأعمال ، اللواتي نشأن في "المستعمرات السكنية" الحديثة في لكانو ضمن أسر نووية ، غالباً ما كن يتحدثن الإنجليزية براحة ، ويتبادلن أطراف الحديث عن الرحلات والأفلام والروايات والحفلات التي لم أسمع بها من قبل . بالنسبة للكثيرات منهن ، كانت تشوك "حيًا إسلاميًا متخلفًا" حيث كان الجميع يرتدي أقمشة تشيكان ، ويمضغون أوراق التبوتول ، ويطيرون الطائرات الورقية ، أو يزورون المومسات .

حاولت جاهدة ألا أشعر بالحرج من انتمائي إلى تشوك أو من انتمائي إلى عائلة مشتركة لا تملك سيارة أو منزلاً ، وأكثر أفرادها رقيًا لا يتحدثون إلا الإنجليزية المكسرة . بحثت عن الكلمات ونقاط الاتصال وأنا أنتقل ذهابًا وإيابًا على عربات الريكشا بين تشوك ولا مارتينيير . على مدى السنوات التسع التالية ، كافحت لجمع الأدوات اللازمة لنقل أحداث طفولتي ومراهقتي المبكرة إلى عالم آخر . مع ذلك ، لم تكن سنواتي الأخيرة في لا مارتينيير صعبة كالسنوات الأولى - جزئيًا لأنني وأختي وضعنا معًا عدة استراتيجيات للبقاء ؛ وجزئيًا لأنني بدأت أجد العزاء في الكتابة الإبداعية باللغة الهندية ؛ وجزئيًا لأنني اكتسبت سمعة كخبيرة في الأمور غير الإنجليزية .

في أواخر أيام لا مارتينيير، اكتشفت أيضًا السيدة ماكلور . نشأت السيدة ماكلور في بورما ، وكانت ترفض شيئين : سجن زوجها ، والفتيات اللواتي "يخيطن مثل الموتشي" (صانعات الأحذية) في فصل الخياطة . لكنها أحببت قصص روديارد كيبلينج وكتب الجغرافيا لغو تشنغ ليونغ . حتى مع ضعفها تجاه الجغرافيا الإقليمية الآسيوية الموسمية ، أوضحت لنا السيدة ماكلور بفعالية **أن كل شيء في عالمنا يحدث في مكان وزمان ، وأنه لا يمكن للمرء الهروب من الجغرافيا!** ومع أن السيدة ماكلور لم تُصرّح بذلك بهذه الكلمات ، إلا أن شغفها بالجغرافيا أقتنعي بطريقة ما بإمكانية انتقال الجغرافيين بين عوالم عديدة دون المساس بشغفهم بأي منها . أعتقد أنني أثناء استماعي إلى إحدى محاضرات السيدة ماكلور عام ١٩٨٣ ، قررت أن أصبح جغرافيًا . بعد ثلاث سنوات ، كان هذا القرار هو أن أصبح نقطة خلاف ثانية في منزلي...

الرحلة الفاشلة إلى الله أباد

دفعني شغفي بالجغرافيا إلى متابعة دراستي للحصول على درجة البكالوريوس في كلية أفاد ، حيث درست الأنثروبولوجيا والجغرافيا والأدب الإنجليزي . لكن على مستوى الماجستير، لم تكن الجغرافيا موجودة في لكانو . لم يسمع أحد في عشيرتي بأكملها قط بإرسال ابنته لدراسة شيء غير ملحوظ كالجغرافيا ! سألت مئة من أقاربي والدي : "أين ستجد الوسيلة لإيوائها في سكن ؟" لو تم اختياري لدراسة الطب أو الهندسة ، لكان من المجدي التوسل أو الاقتراض ، لكن الأمر لم يكن كذلك : "ما هي العجائب التي ستحققها بشهادة الماجستير في الجغرافيا ؟ العمل في هيئة المسح الجيولوجي الهندية ؟" ثم ، كان هناك سؤال أكبر كامن وراء هذه المخاوف البسيطة : "ماذا لو فعلت شيئًا يسيء إلى سمعة العائلة؟"

ربما كان والدي يشاركني بعضاً من هذه المخاوف ، لكن في أعماقه كان يؤمن أيضاً بأبنائه . قرر أنه بما أن حكومة الهند وافقت على منحي منحة دراسية بقيمة 150 روبية شهرياً لمتابعة دراساتي العليا ، فينبغي أن يُسمح لي بالذهاب إلى الله أباد ، على بُعد أربع ساعات بالقطار من لكانو ، للحصول على درجة الماجستير في الجغرافيا . لكن عاماً من النشاط الطلابي المكثف أدى إلى إعلان العام الدراسي 1986-1987 "فصلاً دراسياً صفرياً" في جامعة الله أباد . وبينما كنتُ أقرأ الكتب الكلاسيكية البنغالية والروسية (مترجمة) وانتظر عبثاً بدء الدروس ، أقنعني والدي بأن هذا هو الوقت المناسب لتطوير قدراتي الإبداعية .

عملت في التلفزيون التعليمي ، وتلقيت دروساً في كتابة وإخراج مسرحيات الأطفال ، ودوّنت مقابلاتٍ تتناول تاريخ حياة ناشطين مسرحيين ، وراجعت عروض رقص الكاثاك للصحف المحلية . واصلت الكتابة الأدبية الهندية جذبي ، حيث بدأتُ بنشر قصص قصيرة وقصائد في مجلات مثل دارميوغ وساريكا . كما أصبحتُ المساعد الشخصي غير الرسمي لجدي ، الذي كان يُعاني آنذاك من الجلوкома والسكري . كنتُ أُملي عليه روايته الأخيرة ، وأردُّ على بريده ، وأرافقه إلى ندوات في لكانو ودلهي ، ورافقته إلى بومباي عندما دعاه المخرج السينمائي الشهير شيام بينيغال لمناقشة إحدى رواياته في مشروع فيلم . لقد أثّرت بي رحلة الشهر الواحد إلى بومباي مع جدي تأثيراً عميقاً . لقد عرّفتني على أجواء سياسية وفنية نابضة بالحياة ، وعلى حماس التواجد في مدينة كبيرة في جزء أكثر "تقدماً" من البلاد . وأثار ذلك فيّ رغبةً في الانتقال إلى ما هو أبعد من أوتار براديش . قررتُ عدم الذهاب إلى الله أباد عندما استؤنفت الدراسة هناك ، وتقدمتُ بدلاً من ذلك إلى جامعتي بومباي وبونا . ومع تأخير النشاط السياسي الطلابي لبدء العام الدراسي في بومباي هذه المرة ، وجدتُ نفسي أبدأ حياةً جديدةً في نُزل سافيتريباي فول في بونا في أغسطس 1987.

من بونا إلى مينيابوليس

كانت جامعة بونا جامعةً حكوميةً مدعومةً مالياً ، وتفخر بأحد أفضل أقسام الجغرافيا في الهند . من بين العدد الكبير من الطلاب الذين جاؤوا لدراسة الجغرافيا في بونا ، كان ما يقرب من 80% منهم رجالاً يتحدثون اللغة الماراثية من عائلات زراعية من الطبقة المتوسطة إلى الدنيا في المناطق المجاورة . من بين الأقلية الصغيرة التي تلقت تعليمها باللغة الإنجليزية ، كان أربعة طلاب في الفترة 1987-1989 من منطقة بوني الحضرية ، واثنان (بمن فيهم أنا) من عاصمتي مانيبور وأوتار براديش . وقد جعل تكويننا الإقليمي والطبقي والتعليمي من اللغة المستخدمة في التدريس تحدياً مثيراً للاهتمام للمدرسين والطلاب على حد سواء . ومع ذلك ، نجح القسم في منح جميع طلابه فترة انغماس لمدة عامين في جميع المجالات الفرعية الرئيسية : علم الجيومورفولوجيا ، وعلم المناخ ، والجغرافيا البشرية ، والجغرافيا الاقتصادية ، ورسم الخرائط ، وأساليب البحث . وعلى الرغم من أن كل ما غطيناه في هذه المجالات كان يهيمن عليه عمل الجغرافيين البريطانيين والأمريكيين والألمان ، إلا أن القسم قام بعمل جيد في تعريفنا بالجغرافيين العاملين في ماهاشترا - ديكشيت ، وديدي ، وسوانت ، وأروناتشالام . ومن المفارقات أن كل هذه الجغرافيا ظلت بمنأى عن القضايا السياسية الأوسع التي استحوذت على خيال الطلاب في الحرم الجامعي : الضجة التي أثارها كتاب رشدي "آيات شيطانية" ومقتل ساتي روب كانوار في راجستان .

لم تُدرج مصطلحات مثل الماركسية ، والنسوية ، والاقتصاد السياسي ، والإمبريالية ، أو حتى الاستعمار ، في مناقشاتنا الصفية . وظل تدريبنا متجذراً في النماذج الوضعية ، والمالتوسية ، والكلاسيكية الجديدة ، بغض النظر عما اخترنا التخصص فيه خلال الفصل الدراسي الأخير من البرنامج . بالنسبة لي ، ظلت كل هذه التأثيرات الاجتماعية والسياسية محصورة في المجال اللامنهجي ، ولم أتخيل أنها قد تُصبح

جزءًا من الجغرافيا حتى التحقت بجامعة مينيسوتا . كانت مينيسوتا أروع حادثة في حياتي . ثلاثة عوامل ساهمت في وقوعها . أولاً، حثتني جايامالا ديدي على التواصل مع جوزيف شوارتزبيرغ لأنه ألف أطلساً تاريخياً لجنوب آسيا . ثانياً، قررت زميلتي في السكن الجامعي ، ذات الحيلة ، اجتياز اختباري TOEFL و GRE حتى تتمكن من التقديم لبرامج الهندسة الإلكترونية في كاليفورنيا . ثالثاً ، لم أبحث عن مينيسوتا على خريطة العالم إلا بعد حصولي على زمالة ماك آرثر لدراسة الجغرافيا هناك!

من مينيابوليس إلى دار السلام

كانت الرحلة من دلهي إلى مينيابوليس في 31 أغسطس 1989 أصعب رحلة قمت بها في حياتي . انفصلت الأسرة المشتركة ؛ وعانت عائلتي من أمراض خطيرة وصعوبات اقتصادية ؛ وكان وجودي ضرورياً في لكانو . على الرغم من أنني لم ألق سوى الدعم الكامل لقراري بالذهاب إلى الولايات المتحدة ، إلا أن الظروف التي غادرتُ فيها جعلتني أشعر بالذنب والخوف . لكن كانت تنتظرنني أمورٌ مثيرة ! كان برنامج ماك آرثر قد بدأ للتو في توليد فرصٍ هائلة ، حيث اجتمعت مجموعة من الطلاب الدوليين والأمريكيين مع مجموعة ديناميكية من أعضاء هيئة التدريس ذوي الميول اليسارية في مينيسوتا لوضع أجنداثٍ جديدة متعددة التخصصات في عالم ما بعد عام ١٩٨٩ .

وقد انجذبتُ بشكلٍ خاص إلى الحوارات التي دارت بين باحثي الدراسات الأفريقية في برنامج ماك آرثر ، بالإضافة إلى المناقشات الحيوية حول التاريخ الشفوي والروايات الشخصية والذاكرة الشعبية التي أنعشت عمل مجموعة كبيرة من الباحثات النسويات في مينيسوتا . في الوقت نفسه ، بدأت مناهج ما بعد الاستعمار تُثير حواراتٍ نقديةً مثيرةً حول النسوية ومشاريع الإثنوغرافيا . لقد غذى قسم الجغرافيا الطاقة التي ولّدها برنامج ماك آرثر، مما شجّعني على النمو نظرياً ومنهجياً في الاتجاهات التي كانت تجذبني ، وقررتُ التركيز في بحثي للدكتوراه على مجتمعات جنوب آسيا في تنزانيا ما بعد الاستعمار ، بدعم ومشورة ستة مرشدين ملهمين .

علّمني فيليب بورتر وسوزان جيجر، مستشاريّ المشاركين ، أهمية سرد القصص في الأوساط الأكاديمية - دون فقدان الشعور بالمسؤولية والالتزام ، سواء تجاه الأشخاص الذين أدرسهم ، أو تجاه القضايا التي أرغب في مواجهتها والنضال من أجله . عرّفني إريك شيبارد وهيلجا لايتنر على أكثر الأفكار إثارة في الجغرافيا الاجتماعية والاقتصادية ، وهياً لي المساحات التي يمكن لطلابهما أن يجتمعوا فيها لتوسيع آفاقهم - وكذلك آفاق الجغرافيا . جعلني رون أمين زاده وبرابهاكارا جها أكثر انتباهاً للزمانية وما بعد الاستعمار ، وأوضحا لي معنى التعددية التخصصية . بعد انغماسي في سياسات العرق في الولايات المتحدة ، وبناء هوية قوية كامرأة ملونة ، كان مواجهة الحقائق العرقية في شرق إفريقيا جسدياً أمراً مُزعجاً .

بصفتي امرأة هندية وصلت إلى دار السلام عبر الولايات المتحدة ، ولم أكن أدرج بسهولة ضمن الفئة النمطية للمهندي (آسيوية) ، كنتُ أعمل أحياناً كأوروبية فخرية . ولكن سرعان ما وجدتُ نفسي أنفوض وأستكشف بنشاط طبقات أخرى من السياسة أيضاً - الطبقة ، والطائفة ، والدين ، واللغة ، والأحياء السكنية ، بالإضافة إلى الممارسات والامتيازات الجنسية - في تنزانيا التي كانت تتحول من حلم نيريري إلى ديمقراطية متعددة الأحزاب متحررة تماماً . العوالم التي تنقلت بينها - من تشوك ولا مارتينير إلى بونا ومينيابوليس ، بالإضافة إلى صلاتي العائلية باللغة الغوجاراتية - منحني الأدوات والشغف لتحليل تعقيدات الجنس والعرق والمجتمع في الحياة اليومية وهويات المهاجرين من جنوب آسيا في دار السلام .

وقد حدث كل هذا في الوقت الذي كان يُهدم فيه مسجد بابري في أيوديا بالقرب من مسقط رأسي ، وأثار صعود حزب بهاراتيا جاناتا . في الهند ، كان الشعور بالتأثير المتبادل بين الهندوس من الطبقة العليا في دار السلام قويًا بالقدر نفسه الذي كان يُسمع به في جماعة خوجة الشيعة الإثنا عشرية . أصبحت كل هذه العمليات المتشابكة موضوع أطروحتي ، بالإضافة إلى سلسلة من تسعة مقالات وفصول كتب تلت ذلك بين عامي 1995 و 2000.

من الجغرافيا إلى دراسات المرأة

في عام 1995 ، بدأت أول وظيفة تدريس لي في قسم الجغرافيا في بولدر ، كولورادو . وبتعبير آخر ، بلغة مينيسوتا الإنجليزية ، كانت بولدر مختلفة ! ولا أقصد بذلك جغرافيتها الطبيعية فحسب . كان من الصعب في كولورادو تطبيق التعددية التخصصية والانخراط في السياسة العابرة للحدود الوطنية ، لا سيما في ظل العداء العلني الذي كان يُعبر عنه بشكل متكرر ضد أعضاء هيئة التدريس الذين تصادف أن لديهم مزيجًا من السمات المحددة (على سبيل المثال ، نساء ملونات شابات نسبيًا ، راديكاليات ، ذكور الإمبريالية الأمريكية في محاضراتهن الجامعية) . ومع ذلك ، وجدتُ زملاءً رائعين أتعلم منهم وأتمو معهم . دون ميتشل ، ولين ستيهيلي ، وتوني بيبينجتون ، وتوم بيرولت في الجغرافيا ، وميتشيكو هاس ، وكامالا كيمبادو ، وأليسون جاجار في دراسات المرأة ، على وجه الخصوص ، غدّوا عقلي وروحي .

أصبح ديفيد بارساميان من إذاعة "البديل" مصدرًا للتغذية السياسية ، بينما قامت إيمي غودمان ببعض هذا العمل عبر موجات الراديو كل صباح . لكن التحول الهائل في الثقافة والسياق المؤسسي الذي أحدثته بولدر في حياتي أثار أسئلة تجاوزت بولدر . عندما انتقلتُ من كوني ابنةً بالتبني لدار إلى أن أصبح أستاذة مساعدة في جامعة كولورادو ، وجدتُ نفسي عالقةً بين التزاماتٍ فكرية وسياسية وشخصيةٍ قطعُها على نفسي تجاه مجتمعاتٍ في ثلاث قارات . من الناحية الاستراتيجية ، تعلمتُ الاستجابة لرسالة الإدارة "النشر أو الهلاك" . لكنني شعرتُ بقلقٍ عميقٍ لإدراكي أن الأمور الوحيدة التي تُهم هي تلك التي يُمكن مناقشتها أو تناولها داخل الأوساط الأكاديمية الغربية .

لم يكن هناك أي مجالٍ مؤسسيٍّ يُذكر للتصرف بناءً على شعوري بالمسؤولية تجاه الأشخاص والقضايا التي درستُها في دار السلام . أي جهدٍ لجعل عملي "يسافر" خارج الأكاديمية الناطقة بالإنجليزية بطرقٍ يُمكن أن تُصبح ذات معنى للأشخاص المهمين في دار السلام أو دلهي عدت أنشطةً لامنهجيةً ، بنفس الطريقة التي أصبحت بها السياسة المحيطة بروب كانوار ورشدي أنشطةً لامنهجيةً في بونا . كما جعلني عملي في تنزانيا أدركُ صعوباتٍ أخرى تتعلق بمسألة الصلة بإنتاج المعرفة العلمية . في محاولتي تحدّي الصورة السائدة لجميع الآسيويين التنزانيين كتجار ذكور مستغلين ، سلّطتُ الضوء على روايات أشخاص من مختلف الطبقات والانتماعات الدينية والطائفية واللغوية .

وفي معرض تسليط الضوء على علاقة الهوية والمكان والسلطة ، ركّزتُ على حياة سائقي سيارات الأجرة ، وعاملات الجنس ، و"مختلطي الأعراق" (الذين كانوا مقبولين ومنبوذين من قبل الآسيويين "الأصليين") بقدر ما ركّزتُ على التجار والمهنيين وقادة المجتمع المزدهرين . إلا أن السلطة الاجتماعية والسياسية التي يتمتع بها الآسيويون الأثرياء في تنزانيا - إلى جانب كوني غير تنزانية - حالت دون مشاركتي في انتقادات المنظمات والقادة المجتمعين التي عبّر عنها الآسيويون المهمّشون ، دون المخاطرة بحياتهم الاجتماعية أو سبل عيشهم . بينما كان من الممكن أن يكون عملي مفيدًا للمهتمين بتعزيز التحالفات التقدمية بين الأعراق في تنزانيا ، إلا أن هذا الخوف من رد فعل قادة المجتمع منعني من نشر كتاب عن بحثي . إن التركيز الإثنوغرافي على ممارسات النخبة ، مهما كان مثيرًا من الناحية النظرية أو التجريبية ، حدّ بشكل

كبير من المساحات المتاحة لي لإنتاج معارف من شأنها أن تعزز السياسة التقدمية في تنزانيا "على أرض الواقع".

دفعني صراعي مع هذه الأسئلة إلى التساؤل عن سبب رغبتني في الالتحاق بالأكاديمية الأمريكية ، ونوع العمل الأكاديمي الذي أرغب في القيام به . وقد أضافت محادثاتي مع ساراسواتي راجو و ساتيش كومار في دلهي ، بالإضافة إلى مشروع مع ديفيد فاوست ركز على الانقسامات الخطابية والمادية التي أحدثها التعليم باللغة الإنجليزية في الهند ما بعد الاستعمار ، مستويات جديدة من التعقيد إلى هذا الصراع . وبينما كنت أحاول العمل من خلال هذه المستويات ، شعرت بالإحباط من القيود التي تفرضها المفاهيم الضيقة للتأمل في الدراسات النقدية ، والتي نادراً ما تناولت كيفية إثارة حوارات (وإنتاج معارف) يمكن أن تنتقل عبر حدود الأكاديمية والطبقات والقارات .

وبالمناسبة ، كانت سوزان جيجر ، التي كانت تُنهي كتابها "نساء جامعة تانو" ، تشعر أيضاً بخيبة أمل من المناهج الشائعة للتأمل . معاً ، هياً استيئنا المتزايد أرضاً خصبة لزرع بذور مشروع تعاوني بعنوان "الانعكاسية ، والمكانة ، والهوية في العمل الميداني النسوي : ما بعد المأزق." وفي خضم كل هذه المساعي ، قررت نقل مقرّي المؤسسي إلى دراسات المرأة - وهو "مجال" شعرت فيه أنني أستطيع المزج بين الالتزامات ، والأنواع ، والنظريات بطريقة أكثر انضباطاً . ومن خلال مجموعة من التطورات المثيرة ، وجدت نفسي عائدةً إلى مينيسوتا في خريف عام ١٩٩٧ لأبدأ بداية جديدة في دراسات المرأة.

من "موجهي جواب دو" إلى "اللعب بالنار"

أدت وفاة سوزان جيجر المفاجئة عام ٢٠٠١ إلى مقاطعة تعاوننا بشكل قاسٍ . لكن سرطان الدم الذي دمر جسد سوزان لم يستطع أن يُنهي السعي الذي ألهمه تعاوننا : السعي لخلق أشكال جديدة من المساءلة في إنتاج المعرفة النسوية ، ليس فقط من خلال التأمل الذاتي حول كيفية إقحام "الباحثات" دائماً في سياسات الهويات والفئات ، ولكن أيضاً من خلال التساؤل الجاد حول كيفية مساهمة مواقفنا المؤسسية والجيوسياسية في جعل عملنا ذا صلة - أو غير ذي صلة - عبر حدود الأكاديمية الشمالية (أيما كان موقعها الجغرافي) . بالنسبة لي ، تُرجم هذا السعي - إلى جانب ارتباطاتي السابقة بالناشطات النسويات في الهند - إلى عملية تخيل تعاونات جديدة مع عاملات وناشطات المنظمات غير الحكومية في ولاية أوتار براديش .

بدأت العملية بدراسة "موجهي جواب دو" ، وهي دراسة لحملة مسرحية نسائية ريفية في الشارع ضد العنف المنزلي في مقاطعة شيتراكوت . وقد عبّر هذا العمل عن التزام نسويات ما بعد الاستعمار المستمر بزعة استقرار الممارسات الإثنوغرافية التي تُرسخ فكرة أن "النساء" فقط هنّ من يعشن في العالم الثالث - وليس مؤسسات أو رعايا النسوية . ولكن عندما واجهت حقيقة كيف أن المنظمات غير الحكومية ورؤى التمكين التي يحركها المانحون تُسهم في نزع التطرف عن الحركات النسوية الشعبية ، اتضح لي أن أي تدخل فعال في سياسات إنتاج المعرفة العابرة للحدود الوطنية يجب أن يكون مصحوباً بإعادة تشكيل الممارسات الفكرية السائدة . سيتطلب ذلك - من بين أمور أخرى - أجنداث تعاونية تُوضع مع نشطاء القاعدة الشعبية ، للتعامل بشكل ملموس مع الأشكال واللغات التي ينبغي أن تُنتج بها المعارف الجديدة ، والطرق التي يمكن من خلالها مشاركة هذه المعارف ، ونقدها ، واستخدامها ، ومراجعتها عبر حدود اجتماعية وسياسية ومؤسسية وجغرافية متعددة .

وقد وجدت هذه المخاوف تعبيراً لها في رحلة مستمرة مع ثمانية نشطاء من المنظمات غير الحكومية في مقاطعة سيتابور ، والتي أسفرت أولاً عن إصدار كتاب باللغة الهندية بعنوان "سانغتين ياترا" ، ثم نسخته

الإنجليزية بعنوان "اللعب بالنار" . وقد لاقى الكتاب الهندي ترحيباً حاراً ، بالإضافة إلى ردود فعل عنيفة ، وكلاهما عزز نضال المؤلفين ضد نزع التسييس الذي تروج له برامج يقودها المانحون ، والتي تسعى إلى "تمكين" المرأة الريفية في الجنوب العالمي . وبينما ننتظر ردود القراء على كتاب "اللعب بالنار" ، ما زلنا أنا وزملائي مقتنعين بأنه من خلال المزيد من الرحلات الجماعية عبر الحدود فقط ، يمكننا خلق إمكانيات فكرية وسياسية جديدة للنمو والازدهار بشروطنا الخاصة ، وفي فضاءاتنا الخاصة ، ولغائنا الخاصة .

ملاحظات

من جهة، يُعزز مصطلحا "بانغي" و"موتشي" التصنيفات التي أوجدتها ممارسات "التمييز العنصري" . ومن جهة أخرى ، يُحدد هذان المصطلحان (بدلاً من إخفاءهما) الإهانة المستمرة ونزع الإنسانية التي يتعرض لها أفراد هذه الفئات الطبقية. أستخدم هذه التسميات هنا للإشارة إلى هذه الخصوصية.